مراحل بناء الكعبة عبر التاريخ

وردت أقوال عديدة لدى المسلمين في تاريخ بناء الكعبة، وقد أشار الإمام النووي رحمه الله تعالى إلى أنَّ الكعبة بنيت على مراحل عديدة، بدأت بها الملائكة، ثمَّ تابع بها إبراهيم عليه السلام، وتشير الإحصائيات إلى أنَّ الكعبة أعيد بناؤها 12 مرة عبر التاريخ، وفيما يأتي سيتم إدراج مراحل بناء الكعبة بشكل مفصل:

بناء الملائكة للكعبة المشرفة

أشار العديد من الفقهاء والمؤرخين المسلمين إلى أنَّ الملائكة هم أوَّل من بنى الكعبة، وذلك عندما قال لهم الله تعالى في كتابه العزيز: "وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ"، فشعر الملائكة بأنَّهم أغضبوا الله تعالى بسؤالهم ذاك، فصاروا يطوفون حول العرش، فأراد الله تعالى أن يجعل لهم البيت المعمور حتى يطوفوا حوله، ثمَّ أمرهم ببناء الكعبة المشرفة على الأرض من أجل طواف أهل الأرض حوله كما يطوف أهل السماء.

بناء سيدنا آدم للكعبة المشرفة

وردت أقوال عديدة تشير إلى أنَّ آدم عليه السلام هو أول من بنى الكعبة المشرفة، وإلى هذا القول ذهب ابن عباس رضي الله تعالى عنه إذ يقول: "فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ أَسَّسَ الْبَيْتَ، وَصَلَّى فِيهِ، وَطَافَ بِهِ آدَمَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، حَتَّى بَعَثَ اللهُ الطُّوفَانَ"، وقد ورد هذا القول أيضًا في كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب.

بناء سيدنا إبراهيم للكعبة

ذهب بعض الفقهاء إلى أنَّ إبراهيم عليه السلام هو أول من بنى الكعبة مع ابنه إسماعيل عليه السلام، فقد ورد في كتاب الله تعالى قوله: "وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ۖ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ"، وقد جمع بعض الفقهاء بين الأقوال المختلفة، وأشاروا إلى أنَّ سيدنا إبراهيم عليه السلام رفع القواعد التي كان قد وضع أساساتها نبي الله آدم عليه السلام، وقد أشارت بعض الأقوال إلى أنَّ نبي الله آدم بنى الكعبة حتى اندرست وقت الطوفان، فجاء إبراهيم عليه السلام بعد ذلك وأعاد بناءها مرة أخرى.

بناء قريش للكعبة قبل الإسلام

تشير بعض الأقوال إلى أنَّ بناء الكعبة بقي على حاله، إلى أن أعيد بناؤها على يد قبيلة قريش قبل الإسلام، وكان ذلك بعد عام الفيل بنحو من 30 عامًا، فقد وقع حريق كبير كان بسبب محاولة امرأة في الجاهلية تبخير الكعبة فاشتعلت النار فيها وتسبب ذلك بضعف بنائها، وبعد فترة جاء سيل حطَّم بعض الأجزاء من بناء الكعبة المشرفة، فقامت قريش بإعادة بناء الكعبة، وقد اتفقوا ألا يدخل في بنائها إلا كلُّ مالٍ طيب، فلم تكفهم الأموال الموجودة معهم، فاضطروا إلى إنقاصها من جهة الحجر ثلاثة أمتار، ثمَّ رفعوا بناء الكعبة إلى 8.64 مترًا بعد أن كان 4.32 مترًا، ولا بدَّ من الإشارة إلى أنَّ قصي بن كلاب جد النبي صلى الله عليه وسلم هو أول من سقف الكعبة المشرفة قبل بناء قريش لها بفترة طويلة.

بناء الكعبة في عهد الرسول

لم تتم إعادة بناء الكعبة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن أعيد بناؤها كما سبق قبل الإسلام بفترة قصيرة وقد كان النبي عليه الصلاة والسلام شابًا يبلغ من العمر 35 عامًا، وبعد أن اتفقت قريش على بناء الكعبة اختلفوا في الشخص الذي يضع الحجر الأسود واختلفت بطون قريش حول من سوف يرفعه، وكاد أن يقع فيما بينهم اقتتال حول ذلك، ولكنهم اتفقوا على أنَّ أول رجل يدخل عليهم يحكم بينهم، فدخل عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأشار إليهم بأن يوضع الحجر على ثوب يرفعه زعماء القبائل جميعهم، وبعد ذلك يضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه مكانه، وحلت المشكلة فيما بينهم.

بناء عبد الله بن الزبير للكعبة

عندما تولى يزيد بن معاوية الخلافة بعد والده، رفض عبد الله بن الزبير مبايعته، فأرسل يزيد جيشًا لقتاله، واستطاع الجيش أن يحاصر مكة المكرمة ويسيطر على جبل أبي قبيس وجبل قعيقعان، وراح جيش يزيد يرمي الزبير ومن معه في الكعبة بالمنجنيقات، فأصيب المسجد الحرام والكعبة المشرفة، ورمى المسجد بالنار أيضًا ما أدى إلى احتراقه، ولكن توفي يزيد في تلك الأثناء فاضطر الجيش أن يعود إلى الشام، وبويع عبد الله بن الزبير بالخلافة في مكة، وقرر هدم الكعبة وإعادة بنائها مرة ثانية، وقد بناها على قواعد إبراهيم عليه السلام، وقد غير ابن الزبير في بناء الكعبة حسب ما كان قد سمعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد ورد في الحديث عن السيدة عائشة رضي الله عنها أنها قالت: "قالَ ابنُ الزُّبَيْرِ: إنِّي سَمِعْتُ عَائِشَةَ تَقُولُ: إنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ قالَ: لَوْلَا أنَّ النَّاسَ حَدِيثٌ عَهْدُهُمْ بكُفْرٍ، وَلَيْسَ عِنْدِي مِنَ النَّفَقَةِ ما يُقَوِّي علَى بِنَائِهِ،

لَكُنْتُ أَدْخَلْتُ فيه مِنَ الحِجْر خَمْسَ أَذْرُع، وَلَجَعَلْتُ لَهَا بَابًا يَدْخُلُ النَّاسُ منه، وَبَابًا يَخْرُجُونَ منه. قالَ: فأنَا اليَوْمَ أَجِدُ ما أُنْفِقُ، وَلَسْتُ أَخَافُ النَّاسَ، قالَ: فَزَادَ فيه خَمْسَ أَذْرُعٍ مِنَ الحِجْر حتَّى أَبْدَى أُسًّا نَظَرَ النَّاسُ إلَيْهِ، فَبَنَى عليه البِنَاءَ، وَكانَ طُولُ الكَعْبَةِ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ ذِرَاعًا، فَلَمَّا زَادَ فيه اسْتَقْصَرَهُ، فَزَادَ في طُولِهِ عَشْرَ أَذْرُعٍ، وَجَعَلَ له بَابَيْنِ: أَحَدُهُما يُدْخَلُ منه، وَالآخَرُ يُخْرَجُ منه"، ولذلك أعاد بناء الكعبة على هذا النحو ووسَّع المسجد الحرام وجعل مساحته 10 آلاف متر مربع وكان ذلك في السنة الخامسة والستين للهجرة.

بناء الحجاج للكعبة المشرفة

أرسل عبد الملك بن مروان جيشًا للقضاء على عبد الله بن الزبير في مكة المكرمة، بقيادة الحجاج بن يوسف الثقفي، وبعد أن ضمَّ جيش الحجاج قوة كبيرة مؤهلة توجه لحصار مكة في موسم الحج، ونصب المنجنيقات على جبل قعيقعان وجبل أبي قبيس وفي نواحي منطقة مكة كلها، وتحصن ابن الزبير في المسجد الحرام، فصارت المنجنيقات تقصف المسجد الحرام والكعبة المشرفة، فأدى ذلك إلى احتراق الكعبة، فخرج ابن الزبير للقتال مع جماعته، ولكن قتل ابن الزبير في هذه المعركة مع جميع أتباعه، فسيطر الحجاج على مكة المكرمة، فهدم الحجاج الكعبة وأعاد بناءها على نفس بناء قريش في السابق، وأزال ما زاده عبد الله بن الزبير، وهذا بأمر عبد الملك بن مروان إذ أمره أن يسد الباب الغربي لها وأن يهدم ما زاده ابن الزبير من حجر، وتمت التوسعة الرابعة للمسجد في عهد الوليد بن عبد الملك أيضًا في سنة 91 هجرية.

آخر بناء للكعبة في العهد العثماني

حدثت تصدعات لجدران الكعبة في عهد السلطان أحمد الأول العثماني، وكان يرغب في إعادة بناء الكعبة، ولكن علماء الدولة العثمانية منعوه من ذلك، وأشار عليه المهندسون أن يعمل نطاقين من النحاس الأصفر المطلي بالذهب، واحد من الأعلى وآخر من الأسفل، ولكن الكعبة لم تصمد كثيرًا، فقد حدثت أمطار كثيرة وقعت بسببها سيول عظيمة في المسجد الحرام، ووصلت المياه إلى نصف ارتفاع الكعبة، فتمَّ إخراج ما في المسجد الحرام من كتب وغيرها، ومات عدد كبير من الناس في هذه الواقعة، وسقطت جدران عديدة منها، وأمر السلطان مراد الرابع فإعادة بنائها بسرعة، فتمَّ إصلاح المسجد وترميمه بالكامل وفرشت أرضه بالحصى، وتمَّ ترميمه في ذلك العام الذي كان يوافق تاريخ 1630م وكان هذا آخر إعادة بناء للكعبة.